

سُورَةُ الْفَرْقَان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

عباد الرحمن

(025) سورة الفرقان

الدرس الأول: تفسير الآيات 76-63

2022-01-17

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً مُقبلاً يا رب العالمين.

الفرق بين عباد وعبد:

هل تُحب أن تكون لك الجنة في الفرقة أعلى الجنان؟ هل ترعب أن تُلقى في الجنة التحية والسلام من ملائكة الله المقربين؟ في سورة الفرقان يتحدث ربنا عن عباد الرحمن، ويصفهم بمواصفات، أشياء ينبغي أن يفعلوها وأشياء أخرى ينبغي أن يتركوها. ويرتّب على ذلك ثواباً عظيماً منه جل جلاله.



على كل إنسان أن يعمل جرداً مع نفسه

في هذا اللقاء الطيب إن شاء الله سنتعرض هذه الصفات بشكل سريع، ليس المقصود من اللقاء تفسير الآيات، فربما يأخذ تفسيرها وقتاً طويلاً، لكن المقصود أن تقيس أنفسنا على ما فيها، على كل إنسان أن يعمل جرداً مع نفسه، هل تطبيق على صفات عباد الرحمن تلك أم أنني مُقصّر بعضها؟ هل هناك أشياء ينبغي أن أتحجّبها لم أتحجّبها؟ ولنحاول كل ممّا أن يأتي الذي ينصحه لأنها والله مرآة عظيمة جداً عند الله أن تكون عبداً له.

كل الناس عباد، فإما أن يكون الإنسان عبداً لله فهو في عز ما بعده عز، وإما أن يكون عبداً لغيره في دليل ما بعده دليل، ولا يصدقونا أن أحداً ليس عبداً، كل الناس يعبدون، لكن المؤمن يعبد خالق السموات والأرض وغيره قد يعبد شهوته، وقد يعبد منصبه، وقد يعبد مدبره، فكل الناس يعبدون.



العبادة هي الطاعة

أي يُطِيعون طاعةً دون بصيرة لغير الله، مع الله الطاعة على بصيرة. يُسْمُونها طاعة عمياء، أي كما يقال له يفعل، مثل الطاعة في صفوف الجيش والقوات المسلحة، الكلمة تُنَذَّر قبل أن تنتهي يكون قد نَذَرها، هذه هي العبادة، فالعبارة هي الطاعة، فكُلُّ الناس يَعْدُون، لكن المؤمن أَحْسَن الاختيار، فعَيْدَ الله، فَمَا يُرْضِي الله يَعْلَمُه وَمَا يُعْصِي الله يَتَرَكُه، هذا حُسْنُ اختيار، لكن ليس هناك إنسان خَرَجَ بالمعنى المُطلق للكلمة، هذا تحدّثنا عنه سابقاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعِنَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا حَاطَبُوكُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

[سورة الفرقان]

عندنا عياد وعندنا عَيْد، غالباً عَيْد هو جمْع لعبد القَهْر، عياد الرحمن عياد شُكْر وليسوا عياد قَهْر، ما معنى ذلك؟ لو أن مُلِجَّداً قال: لا أُؤْمِن بوجود الله أبداً، مُلِجَّد لكنه مُفْقِر، مُفْقِر إلى كل شيء من الله، إذا أوقف رينا الْزَرْقَ عنه لا يستطيع أن يأكل ويشرب فيموت، إذا أوقف رينا له كُلِّيه عن العمل مشكلة، إذا أوقف له الكيد سيموت، إذا صاق قُطْرُ شريانه التَّاجِي أي ميليمتر وربع حلطة يصاب بسُلَّل كامل، إذا هو عَيْد، إذا قال: لست عَيْداً ولا أُؤْمِن، أنت عَيْد، لأنك مُحتاج، فهو عبد قَهْر، مقهور شاءَ أم أبي. لكن نحن لسنا عبد قَهْر فقط نحن عياد شُكْر، أي تُحسِن التَّوْحِيد إلى الله، ذاك الأول مقهور بالعبادة، نحن تَنَوَّحُه بإرادتنا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرِدُّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ <يُجْهِهِمْ وَيُجْبِوْهُ> إِذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ قَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ (54)

[سورة المائدة]

فَلَمَّا قَالَ عياد هؤلاء عياد الشُّكْر، عياد الرحمن سَيَسْتَهِمُ إلى ذاته العَلِيَّة، وحَتَّى يُبَيِّنَ لك عياد شُكْر لم يقل لك: عياد القَهْر، ولا عياد المُفْتَقِم، ولا المُتَكَبِّر، عياد الرحمن، لأن العلاقة به علاقة خَب، وليس علاقه قَهْر، (**يُجْهِهِمْ وَيُجْبِوْهُ**).

صفات عياد الرحمن:

1 - يَمْشِيُونَ هُوَنَا:

(وعِنَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا) أول صفاتهم أنهم يَمْشِيُونَ على الأرض هُوَنَا، هُوَنَا بسکینةٍ ووقار من غير تَكْبِيرٍ ولا استعلاء، بسکینةٍ ووقار من غير تَكْبِيرٍ ولا استعلاء ولا تَطَامِنٍ وَتَدَلَّلٍ، لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَرَدَ فِي صَفَاتِهِ فِي الصَّحِيفَةِ:

{ كان إذا مشي كأنما يَنْحَدِرُ من ضَبْبٍ }

[رواه الترمذى]

أي من علو، يُنْوَه وعَزَّة المؤمن، سيدنا عمر لَمَّا رأى أحدهم يمشي مُنْطَابِنَا علاه بالدرة على رأسه وقال: يا هذا لا تُهُنْ علينا ديتنا، ارفع رأسك. فهوَنَا لا تعني أبداً أن يذَلَّ الإنسان في مشيته أو أن يهون، لا، هوَنَا أي بسكتنةٍ ووقار من غير تَكْبِير ولا استعلاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَنْلُعَ الْجِنَالْ طُولًا (37)

[سورة الإسراء]

يتواضع لعياد الله، لكن يمشي بعزة وفُؤدة مع تواضع لعياد الله عليه السكينة والوقار.

هذه أول صفة، يستغرب الإنسان أول صفة (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا)، لأن السَّمةُ الخَيْرَى دلالة على السلوك الحسن، أول ما تنظر إلى مؤمن تجده متواضعًا في مشيته هذا يدفوك لأن تتحدث معه، لأن تنظر في سلوكه، فأول ما يتبادر إلى ذهنك مشيته، حركته، (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا).

2 - الحلم:

قال: (إِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) الصفة الثانية. الجهل هنا ليس ضد العلم وإنما ضد الحلم.



الجهل ضد الحلم

ما سُمِّيَتُ الجاهلية لأنها لم يكن فيها علم، كان عندهم علم في اللغة وحتى علم ببعض العلوم، لم يكونوا جهالاً بمعنى صفر معلومات، لا، كان عندهم سفاهة وعدم حلم، فالجهل ضد الجلم هنا وليس ضد العلم، فإذا كان هناك شخص يحمل دكتوراه في أعلى اختصاص وشخص آخر بالسيارة من ورائه أطلق بُوق السيارة مرتين أو ثلاث ثم قَدَّ أعمصاه، ونزل لعنه، وضرب على السيارة، وصرخ عليه، وقام بشتمه، وأمه، وكذا، هذا جاهل، هذه الجهالة، ولو معه دكتوراه، فالجهالة ألا تحلم على الناس.

أما الحليم فضد الجاهل لذلك قال عمرو بن كلثوم بمعنّيه:

لا، نحن المسلمين نقول:

كلما ازدادوا جهلاً ازدادنا حلماً.

زيد بن السَّعْدَة، كما وردَ في أحاديث صَحَّحَ إسنادها كثير من أهل العلم، زيد بن السَّعْدَة كان يهودياً، وجاء إلى النبي صلى عليه وسلم واستألفَ حنطة ويسْمُوهُ: عقد السلم في الشريعة بمعنى أنا أعطيكِ الثمن الآن وأستلم السُّلْكَة فيما بعد، والشرع شرع هذا النوع من العقود للرِّفق بالناس، أي المُرَاعِي يريد مالاً، ولكن السُّلْكَة لا تنتصِر الآن تحتاج إلى وقت، فإذا أخذ المبلغ يعلم به، وُسْلِمَكَ السُّلْكَة فيما بعد، هذا اسمه عقد السلم، فهذا صَنَع ذلك:

فلما حان موعد الاستسلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعَلَّا صوته في مجلسه، يا أبا محمد ما علِمْتُكم إِلَّا مُطْلَّاً في الأداء - ظَمَاطُونَ فِي الْأَدَاءِ - فقام إليه سيدنا عمر يتكلّم مع رسول الله - وسيدنا عمر كان عما يُلْقَى في الإسلام - فقال له: دعْ يا عمر، كان حريًّا بك أن تأழُّه يُخْسِنُ الْمُطَالَبَةَ وَأَنْ تَأْمُرَهُ يُخْسِنَ الْأَدَاءَ - تأمره يُخْسِنُ الطلب وتأمُرْنِي بحسن الأداء، تأقر رسول الله يُخْسِنَ الأداء - قال: خُذْهُ واعطِهِ ورِدْهُ جزاء ما رُوَءِنَّهُ - أخفِهُ للرجل - فزاده قال: ما حَمَلْتَ عَلَى مَا ضَنَّتَ، قال:

{ يَا عُمَرْ كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرَ إِلَيْهِ إِلَّا اثْتَيْنِ لَمْ أَحْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حَلْمُهُ جَهَلَهُ
وَلَا يَزِدُهُ شَدَّدَةُ الْجَهَلِ عَلَيْهِ إِلَّا حَلْمًا فَقَدِ احْبَرْهُمَا فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرْ أَنِّي قَدْ رَضِيَتُ بِاللَّهِ رَبِّي وَبِالْإِسْلَامِ دِيَّا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَّيَّنَاهُ }
[أخرجه ابن حبان]

ما الذي دعاه إلى الإسلام؟ لا تزيده شدَّةُ الجهالَة عليه إلا حلماً.

(إِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) هو يجهل ونحن نحلم، لا تعرّض نفسك لتزد على إنسان جاهل سفيه فتضُعُر أمامه، لكن عندما تُفَاعِلَهُ بالحلم إن كان غضبه آتاكَ يصغر أمامك وبعذر، وإن كان جاهلاً ينصرف وهو يُزَمِّر ولكن ما أراد ولا أصْغَرَ نفسي منه.

(إِنَّمَا يَنْهَا مُحَمَّدٌ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال العلماء هذه يمكن أن تكون سلاماً بمعنى التحية، ويمكن سلاماً بمعنى سأسلم من أي شيءٍ يشينني عند الناس وعند الله، أي لن أقول شيئاً لا يُسلّفني، سلاماً، أريد السلام بيني وبينك لا أريد الحرب.

أما إذا كان الجهل الذي صدر عنه فيه مُنكر، هذا يذهب إلى قضية إزالة المُنكر وفق الشروط الشرعية المعتبرة، هذا بحث آخر، كما قلنا في السيارة حدث شيء، كذا من أمور الدنيا، الأمور الشرعية تذهب باتجاه آخر:

{ من رأى منكم منكراً فليغفره بيده } Span - فإن لم يستطع فبمسايه. فإن لم يستطع فبقبيله.

وذلك أضعف الإيمان - {

[صحيح مسلم]

وفق الشروط الشرعية، وأحد أهم الشروط الشرعية في إزالة المُنكر ألا يؤدي إلى مُنكر أشد منه، حتى هنا ينبغي أن يكون ضمن الضوابط وليس فقرة غضب.

3 - السجود والقيام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يَنْهَا مُحَمَّدٌ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبْيَسُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)

[سورة الفرقان]

لأن علاقتهم مع الله، يبيتون: بات الرجل أي رجع إلى بيته ليلاً سواء بات أو لم يَت بعد، المقيت هنا ليس النوم لكن بات إلى البيت رجع.



التنوع في السجود والقيام

(يَبْيَسُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) أما أن حاليهم في السجود أو في القيام لله تعالى، ولعلَّ التنوع هنا سجدةً وقياماً أي قد يكون عند الإنسان ما يمنعه من السجود أو هو مُتعَفِّفٌ فِي قَوْمٍ، عند السجود يفعل هكذا وهناك إنسان يسجد ويطيل السجود، لكن بالقيام يجلس، يقول لك: أنا مُتعَفِّفٌ أو مريض، فَتَوَقَّعُ حَتَّى يُبَيِّنَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مُخْتَصٌ بِالصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ بَعْضُ الظَّرَفِ الْحَالَةِ الَّتِي تَقْوِيُهُ، لَأَنَّ التَّلَقُّلَ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَؤْدِيهِ جَالِسًا وَلَوْ اسْتَطَاعَ الْقِيَامَ وَلَهُ نَصْفُ الْأَجْرِ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الْقِيَامِ، أَمَّا إِذَا كَانَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْقِيَامِ وَجَلَسَ فَلَهُ الْأَخْرَى كَامِلًا.

(وَالَّذِينَ يَبْيَسُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) من أجمل ما قرأته في تفسير الآية، ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أدنى شيء بعد العشاء الآخرة ركعتان، لم يقم في الليل ولم يقل لا أستطيع أن أستيقظ، بعد العشاء صلى الله عليه ركعتين لله، قال: فقد بات لله ساجداً قائماً، وقال بعض أهل العلم إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

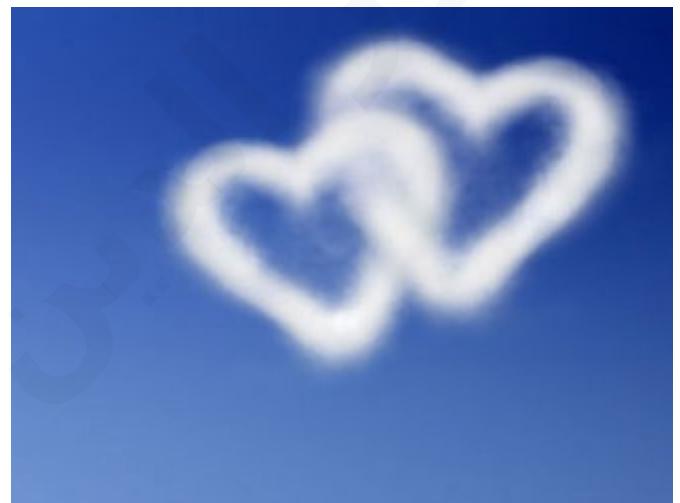
{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَائِعٍ فَكَانَمَا قَامَ يَصْفَرُ اللَّيلَ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَائِعٍ فَكَانَمَا صَلَّى اللَّيلَ كُلَّهُ }

فرحمة الله واسعة فلو أدى العشاء والفحير في جماعة انتطبق عليه: (وَالَّذِينَ يَبْتَسُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقَنَامًا).

4 - يخافون ربهم ويدعونه ليدخلوا الجنة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّا اصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَرَاماً (65)

[سورة الفرقان]



القرام هو الملازمه
القرام تقوله على العشق والهبات والمحبة الزائدة، مُغَرَّ به. القرام هو الملازمه، فلما كان المغرّم بشخصٍ يُلزمه أو يُلزّم ذكره إذا كان بعيداً عنه سُمّي القرام عَرَاماً، القرام هو الملازمه، ولماً كان القريم يُلزمه ذيئه فسمّي عَرِيماً، يقول لك: لا يذهب عن بالي الدين فهو غريم، من هنا عَرَم.

(إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَرَاماً) أي ملازماً، العذاب يلازم الإنسان في نار جهنم، فهو لاء بين أنهم يتبنون لرَبِّهِم سُجَّداً وقَنَاماً وأنهم رغم ذلك يخافون ربهم، أي لا يأمنون عذاب الله، وهذا ليس من أجل أن تكون في حالة خوف دائمة، الأصل أنك في حالة حُب دائم مع الله، لكن الخوف طاري، لأن الإنسان إذا لم يخف قد يعصي، الحُب وحده لا يكفي أحبابنا الكرام، صدقوا أنه لا يكفي، أي بتربتكم مع أبيائكم الخب 90 % ولا أبالغ، ولكن يوجد خوف 10 %، هناك أشياء طفل لا يتركها إذا لم يكن خائفاً، فقط حُب لا يفعلها، سُوءاته تُغليه، وبعلاقتك مع الله هناك شيء آخر، شيء تقول: نفسي تُباغثني ولكنني خائف من الله، وهناك منه شيء تقول: أحُّ الله، لكن هناك شيئاً أخاف منه، فلذلك: (يَقُولُونَ رَبَّا اصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَرَاماً) ملازماً للإنسان لمن استحق طبعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهَا سَاعَةٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً (66)

[سورة الفرقان]

(إِنَّهَا سَاعَةٌ مُسْتَقَرًّا) لِمَنْ قَرَّ بِهَا، (وَمُقَاماً) لِمَنْ أَقامَ بِهَا.

(مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً) مُستقر: المكان الذي يقرّ به الإنسان، والمُقام: الذي يُقيم به، ولعل الإقامة أكثر من الاستقرار، الاستقرار قد يكون آلياً، أنا مُستقر بهذا البلد سنة ومن ثم سأغادر، المُقام دائم، وهناك في النار من يسجّق النار إلى أبد الآدبين من لم يكن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، أو هناك من يسقّر بها شيئاً ثم يخرج منها، لكن في الحالين: إِنَّهَا سَاعَةٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً).

5 - ابتعادهم عن الإسراف والتقتير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْقَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا /> وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْاً مَا (67)

[سورة الفرقان]



الحد مُجاوزة إسراف

الآن انتقل إلى البُخل، فلا إسراف في إنفاقهم ولا تفتقير، فهم وسط: **(وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً)** أي مُعْتَدلاً وسطاً، تقوم به الحياة، لأن الحياة لا تقوم بغير إسراف ولا تقوّم ببخل، لأن الإسراف قد يصل إلى التبذير وهو الانفاق في العزام والعياد بالله، وقد لا يصل إلى التبذير لكن الإسراف الشديد في الدنيا يعني أن يحتاج الإنسان طعاماً بكمية معينة فيأتي عشرة أضعاف، يقول لك: نأكل منهم غداً، حسناً غداً أكلت وثالث يوم لم يعد بالإمكان أكلهم، أي الكمية كبيرة بائت، صارت في القمامات، هذا إسراف، وهذا الخد، ولم يقتروا على أهلهم ولا حتى في **النَّفَقَةِ الْوَاجِهِ وَالْمُسْتَحْيَةِ**، في النفقـة الواجهـة التي صـلى الله عـلـيه وسلمـ كانـ إذا جاءـه الرـجل بـمالـه يـقولـ لهـ دـاتـماً: ماـذا أـيـقـيـتـ لـعـيـالـكـ؟

{ عن عمر بن الخطاب أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْقِيْ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنَصْفِ مَالِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أَبْقَيْتَ لَأَهْلَكَ؟ قُلْتُ: مَثْلُهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لَأَهْلَكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتَ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبْدَأْ [رواه الترمذى وأبو داود]

قل لي: مَاذَا أَبْقَيْتَ لِأهْلَكَ؟ لَا تُسْرِفْ حَتَّى فِي الْإِنْفَاقَ، قَالَ:

{ كُلُوا وَاشْرِبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْتَّسِوا مَا لَمْ يَخَالِطُهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَحْيَلَةٌ }

[أخرجه ابن ماجة]



يُحِبُّ أَنْ يُفْقِدِ الْإِنْسَانَ شَيْئًا لِنَفْسِهِ

ولَا مَخِيلَةٌ أَيْ كِبِيرٌ، قَدْ تَكُونُ هُنَاكَ مَلْمَةٌ بِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ لَيْسَ هُنَاكَ إِسْرَافٌ مُهِمًا أَنْفَقَتْ، لَكِنَّ الْمَقْصُودُ أَنْ يُبَقِّيَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا لِنَفْسِهِ، فَالْإِسْرَافُ لَا يَنْبَغِي فِي الْبَيْتِ وَلَا مَعَ الْأَهْلِ، طَبِيعًا قَدْ تَقُولُ لِي: الْإِسْرَافُ مُتَبَاينٌ بَيْنَ النَّاسِ، طَبِيعًا، الَّذِي ذَحَلَهُ خَمْسَةُ أَلْفٍ وَأَنْفَقَ ثَلَاثَةُ أَلْفٍ وَتَصَدَّقَ بِأَلْفٍ، هَذَا لَا يُسَمِّي مُسْرِفًا مُثُلًا عَنْ قُرْتَائِهِ، أَمَّا الَّذِي ذَحَلَهُ خَمْسَةً وَتُنْفَقَ سَبْطَةُ وَسَبْطَتَيْنِ، صَارَ مُسْرِفًا مَعَ أَنَّهُ أَنْفَقَ أَقْلَى. طَبِيعًا الْحَالَةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ لَهَا مَكَانُهَا، يَوْجِدُ أَغْنِيَاءٍ وَيَوْجِدُ فَقَرَاءٍ، اللَّهُ أَبْتَلَى الْفَقِيرَ بِالْفَنِيِّ وَالْفَنِيِّ بِالْفَقِيرِ، لَكِنَّ عُمُومًا كَانَ سَيِّدَنَا عُمَرَ يَقُولُ: (أَوْ كَلَّا اشْتَهَيْتُ اشْتَرِيتُ).

يُوجَدُ رَجُلٌ تَرْكِي عَمَّرَ مِسْجَدًا سَمَاءً: (كَلَّا أَكْلَتُ)، بِالْلُّغَةِ الْتُّرْكِيَّةِ، كَانَ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا يَقُولُ: غَيْرُ ضَرُورِيٍّ وَيُبَقِّي بِالْحَصَالَةِ قِيمَةً مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِي أَوْ مَا لَا يَحْتَاجُهُ، فَيُبَقِّيَ قَتَرَاكِمَ مَعَ مِيلَعِ، عَمَّرَ مِسْجَدًا صَغِيرًا سَمَاءً: (كَلَّا أَكْلَتُ)، لَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَى أَكْلَتُ وَيَضْعُ هَذِهِ الْمَذَحَّرَاتِ فِي الْحَصَالَةِ، كَانَى أَكْلَتُ.

مَرَّةً دَخَلَتْ اِمْرَأَ السَّوقَ قَالَتْ: يَا اللَّهُ مَا أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُهَا! لَأَنَّ الْمَجْتَمِعَ الْأَسْتَهْلَاكِيَّ يَعْرَضُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَنْتَ تَشْتَرِي الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُهَا كَثِيرًا، وَأَحِبَّانَا نَشْتَرِي الْأَشْيَاءَ لِأَنَّهَا عَرَضَ مَعَ أَنَّكَ لَا تَحْتَاجُهَا وَلَكُنَّهَا بَعْرَضٌ، حَسَّاً بَعْرَضٌ أَوْ بَعْرَضٌ إِذَا كَانَ بِخَفْيَصَاتٍ 25% أَوْ بَعْرَضٌ ذَلِكَ هَذِهِ الْحَاجَةُ كُلُّهَا لَا تَحْتَاجُهَا، هَذَا الْمَجْتَمِعُ الْأَسْتَهْلَاكِيُّ، تَقَعُ فِي هَذَا الْمَقْطَبِ كُلَّنَا، فَالْإِنْسَانُ يَحَاوِلُ قَدْرَ الْإِمْكَانِ أَلَا يُسْرِفَ، أَمَّا أَنْ يُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ فَهُدُوْهُ أَعْطَمُ دِيْنَارٍ تُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِكَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا أَنْ يَقْتَرَبُ عَلَى عِيَالِهِ لِأَنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُقْتَرِبُ عَلَى عِيَالِهِ، هَذِهِ لَا وَدَهُ لَأَنَّهُ لَا إِنْفَاقَ عَلَى العِيَالِ مِنْ أَعْظَمِ الْفُرَّاتِ عَنْ اللَّهِ، لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا، لَا بُخْلٌ وَلَا تَجَاوِزُ الْلَّهُدُّ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ أَيْ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْقَنْتِيرِ قَوَاماً.

بِالْمُنَاسِبَةِ مُعَظَّمُ الْقَصَائِدِ الَّتِي يُسَرِّعُهَا الْإِسْلَامُ وَتَكُونُ وَفَقَ السَّرُّ هِيَ وَسْطُ بَيْنَ فَضْلَيْنِ، قَالُوا:

فَالشَّجَاعَةُ هِيَ وَسْطُ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْهُمُورِ، الشُّجَاعُ لَيْسَ مُهَمَّهُورًا وَلَكِنَّهُ لَيْسَ جَنَانًا، وَالْكَرَمُ وَسْطُ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْإِسْرَافِ وَهَذَا، فَالْفَضْلَيْلَةُ عَالِيًّا وَسْطُ بَيْنَ رَذْلَيْنِ فَلَهَا طَرَفَانِ حَادَّانِ، غَيْرُ مَقْبُولِينَ وَلَهَا وَسْطُ قَوَاماً بِرِيدَهِ اللَّهِ، (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) لِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

{إِنَّمَا يُعْنِي لِتَمَّ مَكَارَمَ الْأَخْلَاقِ}

[رواهُ أَحْمَدُ وَالْبَخْرَى]

مَا قَالَ: لَأُنْشِئَ مَكَارَمَ الْأَخْلَاقِ، كَانَ يُسَدِّدُهَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَدِيكَ شَجَاعَةً؟ الْشَّجَاعَةُ بِأَرْضِ الْمَعرِكَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ تَهْفُرًا مِنْ أَجْلِ نَاقَةِ، دَاجِسِ وَالْقَبَرَاءِ، تُقْيِيمُ حِرَابًا سَنَوَاتٍ مَعَ أَهْلِ وَطَنِكَ، لَا، رِشَدَهَا، هَذِهِهَا، لَدِيكَ كَرْمَ حَانِتِي، الْكَرَمُ يُجِيَّبُهُ اللَّهُ، لَدِيكَ مَصَادِرُ الْإِنْفَاقِ هُنَّا وَهُنَّا، فَكَانَ يُتَمَّمُ الْمَكَارَمِ، وَلَمَّا جَاءَ إِلَى أَمَّةَ الْعَرَبِ جَاءَ إِلَى أَمَّةَ عَنْدَهَا مَكَارَمِ، أَخْلَاقُ عَظِيمَةٌ، وَالَّذِينَ دَانُمَا يُجِبُّونَ أَنْ يُذْمِّنُوا الْعَرَبَ أَنَا لَا أَجِدُهُمْ، الْعَرَبُ أَصْحَابُ مَكَارِمِ، أَصْحَابُ أَخْلَاقٍ، نَعَمْ كَانُ عَنْهُمْ مَقْتَالٌ لَكَنْ هُلْ نَظَرْنَا إِلَى مَقْتَالِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ؟ كَانَ عَنْتَرَةُ يَقُولُ:

الْعَرَبِيُّ كَانَ شَهَمًا، صَاحِبُ مُرْوَةَةٍ، صَاحِبُ نَخْوَةٍ، كَرِيمٌ يَتَرَكُ أَوْلَادَهُ وَيَذْبَحُ لِلصِّيفِ، عَنْهُ أَخْلَاقٌ لَكَنْ كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْشِيدٍ، شَهَامَةٌ وَمُرْوَةٌ وَكَرَمٌ لَكَنْ لَا يَوْجِدُ مِنْهُ، دُونَ مِنْهُ أَخْلَاقٌ تَصْخَمُ بِشَكَلٍ غَيْرِ صَحِيفٍ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَؤَطِّرَهَا وَفَقَ الْطَّرِيقَ الصَّحِيفَةَ، وَفَقَ الْمُضَوَّبَاتِ. (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً).

6 - الابتعاد عن الشرك وقتل النفس والرّزق:

الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرُوْنَ □ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُلْقَ أَنَّمَا (68)

[سورة الفرقان]



الشّرُكُ الْحَقِّيُّ أَنْ يَعْدِ شَيْئاً لَا يَقُولُ لَكَ إِنِّي أَعْدَدْ

هذِهِ الْأَشْيَاءِ التَّلَاثَ مَعَ بَعْضِهَا، (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى): لَأَنَّ الشَّرُكَ فِيهِ هَلَكُ الْأَدِيَانِ، (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا بِالْحَقِّ) لَأَنَّ الْقَتْلَ فِيهِ هَلَكُ الْأَدِيَانِ، (وَلَا تَرْبُونَ) لَأَنَّ الرَّبِّنِيَّ فِيهِ هَلَكُ الْأَعْرَاضِ، فَمَنْ تَرَكَ هَذِهِ التَّلَاثَ تَرَى دِينَهُ، وَبَرِّئَ نَدَنَهُ، لَأَنَّهُ لَمْ يَعْدُ عَلَى الْآخَرِينَ. فَهِيَ تَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ: لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى، بَهْدَهُ الْسَّكِيرُ حَتَّى تَشَمَّلَ الشَّرُكُ الْجَلِيلُ وَالشَّرُكُ الْحَقِّيُّ، فَالشَّرُكُ الْجَلِيلُ أَنْ يَعْدِ صَنَّةً أَوْ حَجَراً كَمَا كَانَ يَفْعُلُ الْعَرَبُ فِي الْحَالِيَّةِ، وَالشَّرُكُ الْحَقِّيُّ أَنْ يَعْدِ شَيْئاً لَا يَقُولُ لَكَ إِنِّي أَعْدَدْهُ، وَلَكِنْ يُطْلِيْهُ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يُعَصِّبُ اللَّهَ، لَهُ شَرِيكٌ وَالشَّرِيكُ قَالَ لَهُ: نَرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ بِصَفَقَةٍ فِيهَا خَمْرٌ، وَقَالَ لَكَ: لَا أَسْتَطِعُ أَنْ أَخْالِقَهُ، هَذَا شَرِيكِيُّ، لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تُخَالِقَهُ وَلَكِنْ تَسْتَطِعُ أَنْ تُعَصِّبَ اللَّهَ! هَذَا: (يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى) لَيْسَ الشَّرُكُ الْأَكْبَرُ الْمُخْرِجُ مِنَ الْمَلَةِ، لَا، مَا فُنِّيَ ذَلِكَ، هَذَا مُسْلِمٌ، لَكِنْ هَذَا شَرِيكٌ خَفِيٌّ:

} أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ التَّمْلِيَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ فِي الْلَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ - وَقَالَ الْعَلَمَاءُ {- وَأَدَنَاهُ أَنْ تُحَبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوَرِ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْقَدْلِ - [عائشة رضي الله عنها]

شَخْصٌ يُجْهَهُ رَغْمَ أَنَّهُ جَائِرٌ لَأَنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَنَافِعِهِ، وَهُوَ طَالِمٌ يَظْلِمُ الْآخَرِينَ لَكَنْ يُجْهَهُ، كَمَا تَرَى الْبَعْضُ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالسَّلَاطِينَ وَالْمُلُوكَ عَلَى جَوْهِرِهِمْ، بَعْضُ الْبَعِيْدِينَ عَنِ اللَّهِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ. وَأَنْ تُبْغِضَ عَلَى عَدْلٍ، أَيْ هُوَ عَادِلٌ مَعَكَ لَكَنْ تَضَعُّ لَكَ نِصْيَحةٌ لِلَّهِ فَإِنْقَصَّتِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنِّي اللَّهُ أَحَدٌ إِلَّا إِنِّي فَحَسْبِيْهُ جَهَنَّمُ وَأَنِسَنَ الْمَهَادُ (206)
[سورة البقرة]

فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الشَّرُكُ الْحَقِّيُّ، وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

} الْيَسِيرُ مِنَ الْرِّيَاءِ شَرُكُ , وَمِنْ عَادِي أُولَيَاءِ اللَّهِ فَقَدْ بَارَزَ اللَّهُ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَخْفَيَاءِ، الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفَقَّدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قَلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهَدِيَّ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ عَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ
[رواه ابن ماجة والبهبدي]

{ إنَّ أَخْوَفُ مَا أَخْوَفُ عَلَيْكُمُ الشَّرُكُ الْأَضَقُرُ }
قالوا: وما النَّشْرُكُ الْأَضَقُرُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: الرِّبَّاءُ
يقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: ادْهِبُوهُ إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَأَوْنَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوهُمْ هُنَّا كَيْفَ عِنْدَهُمْ
جزاءً؟!
[رواه أحمد]



أي أن يُراني الإنسان بأعماله للآخرين، لا ينظر إلى الله، ينظر إلى ما يرى من تطرب رجل إليه، فإذا كان في حضرة الناس صَلَّى فاحسن صلاته، وإذا كان في بيته تُقرَّها كُفرَ الدِّيَكَة أو ترکها، فيُصلي في حضرة الناس ويتركها بعيداً عن الناس فهذا يُراقب الناس ولا يُراقب خالق الناس، فالرِّبَّاءُ من الشَّرُكُ الْجَحْفيِّ.
(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْنُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) النفس مُصَاتَةٌ في الإسلام، وَقَاتَلُوهَا بِالْحَقِّ بِإِحْدَى ثَلَاثَاتِ الْيَتِيمِ الرَّازِيِّيِّ، وَالثَّارِكُ لِدِينِهِ
المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، الْفَضَاظُ.

{ لا يَجْلِلُ دُمُّ امْرَءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ، الرِّبَّيِّ ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ }
[صحيح البخاري ومسلم]

وهذه الثلاثة يُعيّنُها الحاكم وليس الأفراد، هذا هو الحق، إلا بالحق.
(وَلَا يَنْهُونَ) البُعد عن الرِّبَّيِّ الذي فيه هلاك الأعراض، وكل ما من مُقدَّمات الرِّبَّيِّ ينبغي لعياد الرحمن أن يتبعدوا عنه، أن يُنْزِلُوهُوا أنفسهم عنه، فالخلوة بالأجنبيَّة مُحرَّمة، والنَّطَرُ بالسلَّهُوة إلى ما حَرَمَ الله، وغير ذلك من كل شيء مُقدَّمات، لذلك الله قال في آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَنْقِرُوا الرِّبَّيِّ إِنَّهُ كَانَ قَاجَشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا (32)
[سورة الإسراء]

ما قال: ولا تزنيوا، قال: ولا تَنْقِرُوا الرِّبَّيِّ، لأن هناك أشياء تُقْرَبُ من الزنى، تُدْعُ الإنسان، المحاليس المُختلطة الماجنة بغير ضوابط إلى آخره مما يُغضِّبُ الله، فيؤدي بالإنسان إلى الرِّبَّيِّ، والنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

{ العَيْنُ تَزَنِي، وَالْقَلْبُ يَزَنِي، فَزِنَا الْعَيْنُ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبُ التَّمَنُّ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ
{

إما أن يتتابع فيما بعد فيقع في الرّىنى الشرعي الذي يستوجب عقوبة الله الكبيرة والحدّ، أو أن يكُنّه الفرج، لكن يبقى له هذه الصفات التي ينبغي أن يتوب منها.

الابتعاد عن الكبائر لأن عقوبتها شديدة عند الله عز وجل:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) من يفعل واحدة من هذه الثلاث يلقى أثاماً أي عقوبة شديدة من الله عز وجل، لكل سيئة عقاب، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلُمُ فِيهِ مُهَاجِّاً (69)

[سورة الفرقان]

فيه لا تُتمد في الأصل في التجويد، لأن هذه الهاء قبلها ساكن، فليس هاء صلة كقوله تعالى:

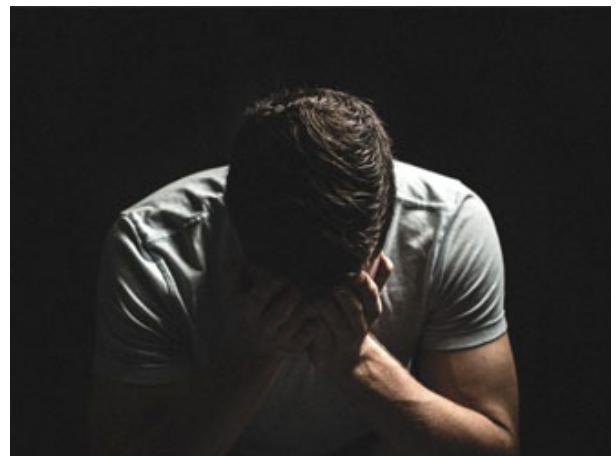
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَخْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)

[سورة الهمزة]

تُتمد لأن قبيل الهاء مُتَحَرِّك وبعدها مُتَحَرِّك، لكن فيه ومنه لا تُتمد، لأن ما قبلها ساكن، بالأصل في غير هذه الآية أن يقال: (فيه مُهَاجَا) غير مد لكن هنا على خلاف القاعدة، جاء اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم يخلد فيه مهاناً للدلالة على التأكيد على خلوذه فيها، أي ليثبت نظرك أن هناك شيئاً يستدعي الانتباه.
(فيه مُهَاجَا) ثم قال مهاناً لأنه الهوان شديد على النفس، خصوصاً عند النفوس الكرام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذُو إِنْكِ أَنْتَ الْغَرِيرُ الْكَرِيمُ (49)

[سورة الدخان]



الهوان شديد على النفس

الهوان صعب على الإنسان، في القرآن هناك عذاب أليم، وعذاب عظيم، وعذاب مهين. الأليم: بالنسبة لما يحدهه من ألم على الأجسام، أثره العظيم؛ لأنه من العظيم، نسبة إلى كمية العذاب إن صَحَّ التعبير، عظيم.

والمهين: نسبةً إلى أثره النفسي والمعنوي وليس المادي، هناك شخص مُسَيِّد ليس معه كلمة سيئة ولا أحد يضره بِأَوْلَمِه، وهناكأشخاص يقول لك: تَكَلَّمْ معي كلمة صدقاً لـ
صَرْتَني بالقصاص عشر ضربات ما عادلت هذه الكلمة التي قالها لي، أي بالنسبة له الإهانة بالكلام.
فالعذاب هنا قال: (يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) لأنه كان مُنَكِّرًا في الأرض فناسته العذاب المُهين الذي يُهين كرامته، نسأل الله السلامة.

عذاب الله للإنسان عذاب طارئ ليعود إلى جادة الصواب:

ربنا عز وجل لا يَكَلِّمُ على العذاب إلا ويفتح باب الرحمة فوراً، أبداً، لا يوجد في القرآن حديث عن العذاب إلا ويفتح باب رحمته لك فوراً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً رَّحِيمًا (70)

[سورة الفرقان]

عندما تسمع: (يَخْلُدُ فِيهِ) لا يوجد باب، فهو أغلق، قال: (إِلَّا مَنْ تَابَ) الموضوع ليس كذلك، لأن ربنا يُريدها إلى رحمته، هو لا يُريد عذابنا، العذاب طارئ من أجل أن نعود إلى الجادة، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً رَّحِيمًا (70)

[سورة الفرقان]

(تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) باب: رجع إلى الله وأفْلَغَ عن الدَّنْبِ وَنَدِمَ على ما كان منه واستغفر، شروط التوبة التَّصْوِحُ، وآمن: أي كانت تَوْهِيَةً مُبَيِّنةً على خوفه من الله وإيمانه بوجود الله، وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا: لِيُكَفَّرَ عن السَّيِّئَاتِ التي كانت منه، هذه إضافة للتوبة، التَّوْهَةُ التَّصْوِحُ استغفار، نَدِمُ، أَفْلَغَ، عَقَدَ العَزْمَ على عدم العودة إلى الدَّنْبِ، ضَحَّى التَّوْهَةُ إن شاء الله.

من مرتكباتها ومُؤَكِّداتها ليثبِّتَ عليها عمل صالح بعدها، صدقة، عمل صالح هذا يُؤكِّدُ التوبة.
فهنا قال: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) العمل الصالح ضواب يُواافق الكتاب والسُّنَّة ويجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

من تاب وآمن بدل الله سبئاته حسنات:

(فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ) كيف ذلك؟ مثلاً كان عنده 100 سَيِّئةٌ صار عنده 100 حسنة؟

المعنى الأول يُبَدِّل سبئاته حسنات: كان يكذب صار صارقاً، أي ذهبت السَّيِّئة صارت حسنة، كان يتكلم بالغيبة صار يكُفُّ لسانه عن الغيبة، بَدَّل الله سبئاته حسنات.



الاستغفار والإيمان والتوبة حسنة عند الله
المعنى الثاني: هو كان لديه سَيِّئة استغفر وتاب وأناب، هذا الاستغفار والإيمان والتوبة حسنة عند الله، فكُبِّيت له حسنة، إنسان كان يأخذ رشوة، تاب، وإذا كان يعرف أصحاب الحقوق يبعد لهم حقوقهم قَرَصاً وبعد ذلك قال: يا رب سامحني، يا رب اغفر لي، هذا العمل الذي يقوم به حسنة، فبَدَّل سبئاته حسنات.
استقامته هي الحسنة، بَدَّل سبئاته حسنات.

(وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّجِيمًا) يغفر الذنوب ويسترها ويرحم صاحبها، المغفرة هي تخلية والرحمة هي تخلية؟ كأمس كريستال من أفحى نوع لكنه ملؤث من داخله بمياه آسيئة، هل يقبل إنسان أن أصبه له عصير الورد ماء الورد فيه وأقدمه له؟ لا، انطفئه قبل كل شيء، فالتنطيف هو التخلية، وماء الورد بداخله هو التخلية، فغفوراً هي التخلية، أزال الذنوب، والرحمة تخلية من الله، يُزيل الذنوب وبعد ذلك يعطيك الرحمة والسكنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ
****وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّجِيمًا

 (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يُبُوْتُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71)

هناك تاب في الدنيا، الآن لَمَّا تابَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فإنه يتوب إلى الله مَتَابًا يوم القيمة، يرجع إلى الله رجوعاً حسناً، يستقبله الله يوم القيمة حالياً من الذنوب:

{ التائب من الذنب كمن لا ذنب له }

[ابن ماجة والطبراني]

(قَائِمٌ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) يتوب إلى الله أي يرجع إلى الله مَتَابًا حسناً، المتاب هو الرجوع، ما معنى تاب؟ رجع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَتَابَةً لِلنَّاسِ وَأَنَّا وَاجْهَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَهِدْنَا إِلَيْهِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتَ لِلْطَّاهِيفِ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكُعِ السُّجُودَ (125)

[سورة البقرة]

أي رجوعاً، كيف البيت متابة؟ نقوم بالحج وتتعب وترجع بعد أسبوع صونك غائب ومتعب ثم تقول: أسأل الله أن يرزقنا الحج مرات ومرات، لم نكن في سويسرا! لأن الله عَلَّقَ بهذا البيت، فجعله متابة لك، تريد أن تعود رغم أنه لا يوجد شيء مادي يُرجحُك إلا أنك فرحت بالصلة بالله، **(مَتَابَةً لِلنَّاسِ وَأَنَّا)** فالنوبة والثوبة هي الرجوع إلى الله والألوهية، تاب وثاب وآب.

7 - لا يشهدون الزور ويتبعون عن اللغو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ لَا يَسْهُدُونَ الرُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُو مَرُوا كِرَاماً (72)

[سورة الفرقان]



كل ما فيه ميل عن الحق فهو زور

لا يشهدون الزور، لا يقولونه ولا يحذرون محالسه. والزور: الا زوار هو الميل، ازور مال، فكل ما فيه ميل عن الحق فهو زور، غيبة، تهمة، وأعلاه والعياذ بالله شهادة الزور، أن يشهد الإنسان زوراً بأنه رأى فلاناً يفعل وهو لم يره، أو أعلم أن فلاناً سرق وهو لا يعلم، والنبي صلى الله عليه وسلم:

{أَلَا أُتَسْكِنُ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِلَسْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ}

يقول راوي الحديث وَكَانَ مُتَكَبِّنًا فَجَلَسَنَا - عَذَّلَ جَلْسَتِه -

فَقَالَ: أَلَا وَقُولُ الرُّورِ، وَشَهَادَةُ الرُّورِ، أَلَا وَقُولُ الرُّورِ، وَشَهَادَةُ الرُّورِ حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ

{فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ}

[صحيح البخاري]

خوفاً عليه، من كثرة احرمار وجهه وهو يقول ألا وقول الرور، يعني، وهو أثناء حديثه عن الشرك كان متكباً وهو من أعظم الكبائر والعياذ بالله، لكن لما الأمر صار يقتضي حقوق الناس جلس فانتهوا جميعهم، فالنبي جلس، ثم أصبح يقول: **(أَلَا وَقُولُ الرُّورِ، وَشَهَادَةُ الرُّورِ، أَلَا وَقُولُ الرُّورِ، وَشَهَادَةُ الرُّورِ حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)** خوفاً عليه، أشفقوا عليه صلى الله عليه وسلم.

(إِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ) اللغو الكلام الذي لا طائل وراءه، حديث بالغورات، حديث غيبة، تهمة.

(مَرُوا كِرَاماً) أي يكرمون أنفسهم أن يخوضوا في مجالس فيها ذكر الأعراض أو ذكر الغيبة أو التنميمة، **(مَرُوا كِرَاماً)** أي يكرمون أنفسهم أن يجلسوا فيها، قوله: **(إِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ)** بمعنى أنهم لم يقصدوها، إنما مروا بها مروراً، أي لا يذهب المؤمن إلى مجلس يعلم أن فيه لغو.

(إِذَا مَرُوا بِاللَّغْو مَرُوا كِرَاماً) حديث نكتة صالحة، إدخال السرور على قلوب الناس، فرح، صلح، تيسير، لا يوجد مانع، ليس في الإسلام كهنوت، لكن ألا يكون فيه مساس بالناس أو بأعراض الناس، أو هذا المجلس لو كان مباحاً لا يذكر فيه اسم الله أو لا يقام فيه الصلاة إن حان وقتها، فنذهب الصلاة على الناس، أو، أو إلخ...

8 - يسمعون آيات الله وبخشعون لها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73)

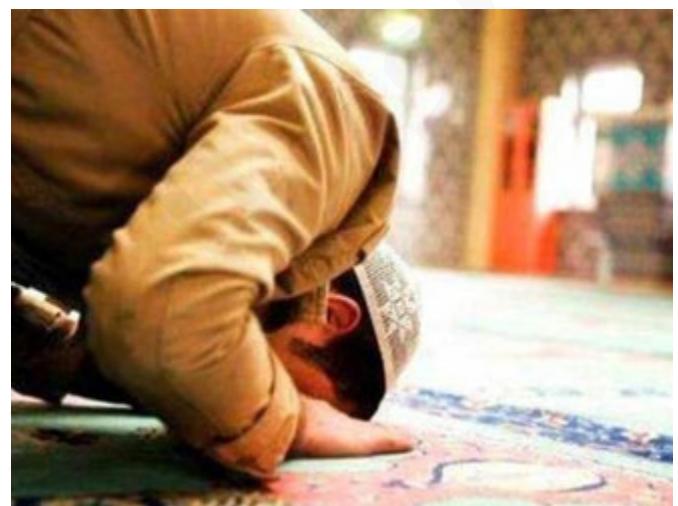
[سورة الفرقان]

خرّ عليهم السقف أي سقطَ بغير انتظام، السقف لا يسقط هكذا بالترتيب، فالخرّ هو السقوط بغير انتظام، فلما ذكر الصالحين قال:

فُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا □ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَلَقَّ عَلَيْهِمْ <يَخْرُجُونَ لِلْأَدْقَانِ

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونَ وَبَزِيدُهُمْ خُشُوقًا □ (109)

[سورة الإسراء]



خُلُوا سجداً من عظمة الله تعالى

من عظمة الله شبه فعله لما ينزل للسجود كأنه لم يعد يعي ماذا يفعل، فخرّ خرّاً، لأنه أمام عظمة الله، وأمام حُبِّ الله، فلذلك هم لم يخرجُوا عليها هنا بالعكس، (صَمَّا وَغَمِيَّاتَا) أي لا يسمعون ولا يبصرون، وإنما المؤمن إذا ذكر بآيات الله سواء آياته بالكون بما خلق، أو آياته في القرآن بما تكلم، أو آياته في الكون بما فعل جل جلاله من أفعال بإهلاك الطالمين، أو ينصر المؤمنين، كما في القرآن:

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلَ رَبُّكَ إِعْدَادِ (6)

[سورة الفجر]

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ (1)

[سورة الفيل]

إلى آخره.

(لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَغَمِيَّاتَا) لا يتجاوزون الآيات وإنما يخرجُون عليها، يسمعها ويُبصِّرُ آيات الله في الكون.

9 - يدعون الله أن يهيم ذرية صالحة وأن يكونوا قدوة لآخرين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرَّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنِ> وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)
[سورة الفرقان]

تَقْرُّ العَيْنُ أَيْ تَسْكُنُ، وَلَا تَقْرُّ العَيْنُ إِلَّا بِالوَلَدِ الصَّالِحِ، (هُبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرَّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنِ) فَلَا تَقْرُّ عَيْنُ الإِنْسَانِ إِلَّا أَنْ يَرَى وَلَدَهُ صَالِحًا يَخَافُ اللَّهَ، مُصَلِّيًّا، قَائِمًا عَيْنَهُ وَسَكُنُ.



سخونة العين تعيس عن الحزن
والقَرْرُ هو البرد، والعين عندما تَقْرُّ تكون باردة، قال لي بعض الأطباء: إن حرارة العين لا تتجاوز تسعة درجات، بينما حرارة الكبد ترتفع أكثر من ذلك بكثير، فالعين في الأصل فيها بُرود، لكن عندما تَسْخُنُ يُغْزِيُها الشعراً عن الحزن، العين الساخنة، فالقرار يكون بالسُّكُونِ والبرد، تُبَرُّ العين عندما ترى أمامها من ذُرِّيتها من يدعوها لها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرَّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنِ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

[سورة الفرقان]

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أي يقتدي بهم الناس، أنت لا تقتل أن تكون فقط مُقتدياً، كن أنت قدوة للآخرين، اقتدي بالصالحين وكأن قُدوة للآخرين، (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أي يا رب اجعل المُتقني إذا رأينا يتأمّلُ بنا، المُتقني، أي هو من أعظم الدرجات، يقول: ما شاء الله، والله التاجر الفلاسي لا يأكل قرشاً حراماً، أينما ذهبت إليه يُعطيك حَقَّك للآخر، فأنا قُدوتي بالحياة بالتجارة بالتجارة بالتجارة، والله هذا الطيب فُدوة لي بالمعاملة الحسنة، والله إذا رأى فقيراً يعالجه مجاناً، جلسُتُ معه نصف ساعة يُجاوِيك ولا يتضجر منك ولا يَمْلِ، أنا قُدوتي فلان، فيُصيّح إماماً للمتقين. (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

الجنة ثمن من صبر في الدنيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ يُجَزَّوْنَ الْعُرْقَةَ يَمَّا صَبَرُوا> وَبَلَّقُونَ فِيهَا تَجِيَّهَ وَسَلَاماً (75)

[سورة الفرقان]

الباء هنا باء السبب، أي بسبب صبرهم (**يُجَزَّوْنَ الْعُرْقَةَ**) والعرقة هي مكان في أعلى الجنان، وهنا جاءت مفردة، والغرفة فيها عُزفات، في آيات أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِإِلَيْكُمْ تُقْرَبُونَ إِلَّا مَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ حَرَاءُ الصَّاغِفِ بِمَا عَمِلُوا
وَمُمْ فِي الْفُرْقَانِ آمِنُونَ (37)

[سورة سباء]

فيه عُرفات، لكن المرتبة اسمها الغرفة، وفي الغرفة عُرفات لكل إنسان، فالغرفة في أعلى الجنة، فلما كانت أخلاقهم بهذا الغلو والسمو كان جزاؤهم بهذا الغلو والسمو.



الذين هم الصبر

(جُرُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) الصبر هو الذين، الذين هم الصبر، صبروا ما أشركوا، صبروا ما قاتلوا النفس، خاطئهم الجاهلون فضيروا، تحتاج إلى صبر، تقول:
شعرت كأني سأخرج من جلدي ولكن صبرت، وقلت له: كما تريد اذهب فمساق. كل الذين صبر، ليس الصبر فقط أنه فقدت قريبا فضيرت، هذا نوع من الصبر، لكن الصبر على المعصية أهم أنواع الصبر والصبر على الطاعة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالظَّلَّةِ وَاضْطَبَرَ عَلَيْهَا لا تَسْأَلْكَ رِزْقًا تَحْنُ تَرْزُفُكَ وَالْعَابِثَةُ لِلنَّفْوِيَّةِ
(132)

[سورة طه]

فالـ: (أُولَئِكَ يُمْرَنُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) صبروا في الدنيا فكان جزاؤهم في الجنة الغرفة.
الغرفة مرتبة في الجنة في أعلى الجنة، الغرفة التي نجلس بها اسمها غرفة، هذه غرفة، مكان يجتمع فيه الناس، لكن المرتبة في أعلى الجنة اسمها الغرفة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ يُمْرَنُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75)

[سورة الفرقان]

أما قلنا لكم في البداية: ألا تحب أن تُجزى الغرفة؟ (وَلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) أي من أجمل المجالس أن تمر عليك الملائكة وتسلم عليك، تحية وسلاما.

خَالِدِينَ فِيهَا ۝ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَاماً (76)

[سورة الفرقان]

بمقابل هناك ساءت مُسْتَقَرًا وَمُقَاماً، لكن هناك كما قلنا ليست خُلوداً دائمًا للكل، لكن في الجنة خُلود دائم، مُسْتَقِر دائم، ومُقام دائم لا انقطاع له، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًا لِمَنْ أَقْرَرَ بِهَا وَمُقاَمًا لِمَنْ أَقَّامَ بِهَا، أَسأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ هُؤُلَاءِ.

والحمد لله رب العالمين